كشف اللثام عن بعض مَن بزاوية الشيخ إبراهيم المحجوب من الفقهاء والأعلام:

د. محمد مصباح المغربي[1]

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد النبي الأواه، وعلى آله وصحبه ومن تبعه ووالاه، ومن سار على نهجهم واقتفاه.

وبعد،،، فإن ممن تفخر بهم الأمم والشعوب في تاريخها وأمجادها أعلامَها ومشايخَها الذين أسهموا في بناء حضارتها، وشاركوا في تأسيس نهضتها، لا سيما العلمية والثقافية؛ إذ إنَّ رقيَ الشعوب وتقدمَّها يقاسان بما لديها من إبداع وتألق، وبما تزخر به ساحتها من علماء ومبدعين، وبما لديها من مفكرين ومثقفين، ووطننا الحبيب ليبيا مليء بتلك النجوم النيرة، والكواكب المتلألئة من العلماء الأجلاء، والمشايخ الفضلاء، والمفكرين النجباء، الذين حافظوا على هُويته، وأسهموا في نهضته، فسادوا العباد، وقادوا البلاد، وأناروا للبشرية طريق الخير والرشاد.

وزاوية الشيخ المحجوب بمصراتة التي أسسها العالم الجليل الشيخ: إبراهيم بن محمد إسماعيل بن يحي المحجوب في منتصف القرن الثامن الهجري تعد من أشهر الزوايا في بلادنا، بتاريخها الحافل بالعطاء، الذي وافى السبعمائةِ سنةٍ، كان لها النصيبُ الأوفرُ، والحظ الأكبر من هؤلاءالأعلام والعلماء والمشايخ والفقهاء، الذين كان لهم دور بارز في نشر العلم والمعرفة في هذه البلاد وخارجها، وحقهم علينا أن نكشف اللثام عنهم، وأن نترجم لهم، ونعرِّف بهم؛ وفاءً لهم وتكريما، واعترافا بفضلهم وتعظيمتا، وعملًا بما أمر به النبي ﷺ من أن ننزل الناس منازلهم، وأن نَقْدُرَهم قدْرهم.

وفي هذه الورقة التي أعددتها على عجل، نتيجة تزاحم الأعمال وتتابعها، رأيت أن أقدم دراسة موجزة، وترجمة مختصرة لأشهر أعلامها من المشايخ والفقهاء والعلماء، ممن كان لهم تأثير كبير ودور عظيم في تألق هذه الزاوية وتميزها، بما قَّدموا من أعمال جليلة، أسهمت في نهضتها وعمارتها، وتخريجها لأجيال المشايخ والفقهاء الوسطيين المعتدلين.

ولما كان العَالِمُ يعرف بستة أشياء، وليس شرطا اجتماعها فيه، بل يكفي وجود بعضها، وهي: "مؤلفاتُه، ومشايخُه، وطلابُه، وآراؤه وأقواله، والترجَمةُ له، وثناء العلماء عليه"، فقد اخترت

---

1 - عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بالجامعة الأسمرية زليتن.

ستة من أعلام هذه الزاوية ومشايخها، ما بين متقدمين، ومتأخرين، ومعاصرين، جعلتهم نماذجَ مختصرةً، وشواهدَ مُؤَكِّدةً لدور هذه الزاوية الريادي في الدعوة إلى الله، ونشر دينه، والدفاع عنه.

وسأختصر الحديث عن العلماء الذين اخترتهم في هذه الورقة؛ بعدا عن الإطالة، وحفاظا الوقت، والتزاما بالحصة الممنوحة منه. فأقول:

أولا: من العلماء الأعلام المتقدمين:

أ- الشيخُ العالِم: أبو بكر المحجوب، وأبناؤه العلماء: "يحي، وعلي، وأبو القاسم".

فأما والدهم فهو الشيخ الجليل: أبوبكر بنُ عمرَ ابنِ سيدي إبراهيم المحجوب، أحدُ حفدة الشيخ الفاضل: إبراهيم بن إسماعيل المحجوب، وهو شيخ جليل، وعَلَم من أعلام هذه الزاوية، عُرف هو وأولاده بالفضل والعلم والصلاح، وقد تكلم عنه وعن وَلَدَيْه "يحي، وأبي القاسم"، تلميذُه العلامة الشهير: أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي "ت: 964ه"، وأثنى عليهم بقوله: "شيخُ زمانه، وواحدُه عملا، وزهدا، وتعبدا، سيدي أبو بكر المحجوب المصراتي، وابناه: سيدي يحيى، وسيدي أبو القاسم، وقد كانوا جميعهم أعلاما علماء، وزُهَّادا عُبَّادا"[1].

لكنَّ صاحبَ "المَجْمَع المُفنَّن بالمعجم المُعَنْون"، العلامةُ المؤرِّخ: عبد الباسط بن خليل الملطي، "ت: 920ه، الذي ترجم لابنه العالم الجليل: أبي القاسم بن أبي بكر المحجوب، أهمل الترجمة لوالده الشيخ أبي القاسم، وشقيقه الشيخ علي، كما أهمل ذكر أخيه الشيخ يحي، كذلك أهمل العلامةُ الخروبي ذكرَ شقيقه الشيخ: علي، الذي ذكره العلامة الملطي، دون الترجمة له ولوالده وشقيقه، وهم جميعاً من علماء القرن العاشر الهجري.

وابنه العلامة أبو القاسم، ترجم له العلامة الملطي، وتحدث عن نشأته وحياته، ومسيرة تعلميه ورحلاته، وعن أشهر مشايخه وأساتذته، وأشاد به وبأهله وبزاويتهم، ثم ختم الترجمة بوُصِف الشيخ أبي القاسم بأنه شاب حسن حشم أدوب، خيِّرٌ دِيِّنٌ فاضل كثير الحياء ساكن[2]. وقد تناوله بالترجمة والبيانِ الباحثُ الأستاذ: محمد حمد المحجوب، بما يغني عن التكرار والإعادة هنا.

ب -الشيخ الفقيه: عبد الكريم بن ناصر الدين البرموني: المشهور بكريم الدين البرموني.

1- شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي: 73، 74.

2- ينظر: المجمع المفنن بالمعجم المعنون، لعبد الباسط الملطي: 205/1، 206.

هو العلامة الفقيه العالم الشيخ: عبد الكريم ابن ناصر الدين البرموني، من أعيان علماء مدينة مصراتة وفقهائها في القرن العاشر الهجري، أخذ القرآن الكريم بزاوية الشيخ إبراهيم المحجوب في أول عمره على الشيخ العلامة عبد الرحمن بن بركات، الذي هو أحد تلاميذ الشيخ المربي عبد السلام الأسمر الفيتوري، كما أخذ بها الفقه وعلوما أخرى على أشهر مشايخها آنذاك، ثم انتقل الشيخ كريم الدين إلى زاوية الشيخ: أحمد زروق الفاسي، ومنها إلى مصر، ثم إلى مكة المكرمة.

وللشيخ كريم الدين عدة تآليف وتصانيف، من أشهرها: "حاشيةٌ على مختصر خليل"، و"روضة الأزهار في مناقب شيخه عبد السلام بن سليم الطرابلسي"، و"مواهب الرحيم"، وهو اختصار لكتاب "شجرةِ النَّوْر"، للعلامة محمد محمد مخلوف، توفي البرموني بعد عام: 998ه،: 1590م تقريبا[1].

ثانيا: من علماء زاوية المحجوب المتأخرين "فقهاءُ آل أبي مدين التِّلْمَسَانِيِّين":

هذه الأسرة الفاضلة التي ينحدر أصلها من الأندلس، عرفت قديما بالعلم والتقوى والصلاح والورع، وبرز منها علماء أجلاء، توارثوا تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس العلوم بزاوية الشيخ إبراهيم المحجوب لمدة تزيد عن مائتي سنة، أي: تقريبا من مطلع القرن الثاني عشرَ الهجري حتى بدايات القرن الرابعَ عشر.

ولكثرة علماء هذه الأسرة الكريمة فسأقتصر في هذه الدراسة على ترجمة لأحدهم، ألا وهو:

أ- **الشيخ الفاضل: منصور اسويسي بن علي بن شعيب أبي مدين:** يعد من أشهر علماء بني مدين، وأحد أعلام هذه الزاوية، بها حَفِظ القرآن الكريم، وتعلم العلم الشرعي، فأخذ عن والده الشيخ اسويسي، وعن عدد من المشايخ الفضلاء، أشهرهم: أحمد العرائشي، وأبي العباس الطبولي، ومحمد بن علي السنوسي، ثم قام بتدريس العلم وتعليمه بهذه الزاوية مدة طويلة من الزمن، وقد تتلمذ عليه طلاب كثيرون، منهم الشيخ: عمران بن بركة بن محمد الفيتوري، والشيخ: اسويسي بن علي بن ضيف الله المحجوبي، والشيخ: مصطفى المحجوب، والشيخ: مصطفى الدردفي.

1- ينظر: تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار، لكريم الدين البرموني: 238، والأعلام، للزركلي: 57/4، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة: 144/8، وتراجم أعيان العلماء من أبناء مصراتة القدماء، لمحمد قريو: 85.

التحق بعد ذلك بالشيخ محمد بن السنوسي في رحلته شرقا، وبعد وفاة الشيخ السنوسي ارتحل إلى أرض الحجاز، وتنقل بين عديد مدنها؛ لتَحُطَّ به الرحال بمدينة الطائف التي بها توفي ودفن سنة: 1253هـ[1]. وله تآليف، من أشهرها رسالة عنوانها: "القول الصحيح في صلاة التسبيح".

كما اشتهر بكثرة التوثيق، وله عديد المناشط، منها نسخه عديد المؤلفات بخط يده، ومنها:

نَسْخُه لكتاب: "أشراط الساعة"، لمحمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني، "ت: 1103هـ"

ونسخُه لكتاب: "إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى، وفضائل أهل بيته الطاهرين"، لمؤلفه: أبي العرفان: محمد بن علي الصبان المصري الحنفي، "ت: 1206هـ".

ونسخُه لكتاب: "الابتهاج، بالكلام عن الإسراء والمعراج"، لنجم الدين أبي المواهب: محمد ابن أحمد بن علي السكندري الشافعي، "ت: 981هـ".

ب -الشيخ العلامة: أحمد الشريف المغربي: "ت: 1308هـ".

هو العلامة الشيخ الفاضل: أحمد بن الحسن الشريف المغربي اليدري، أحد أعيان علماء مدينة مصراتة، بها ولد ونشأ. أخذ تعليمه الأوَلِّي على الشيخ: محمد بن أحمد السعداوي في جامع زمورة القديم، كما جاور بزاوية المحجوب لدراسة القرآن الكريم وعلومه حينا من الزمن لأخذ العلم، وهو أحد المشايخ الموقعين في وثيقة الشيخ: محمد بن محمد بن محمد بن بركة الفيتوري، المؤرخة في: 1268هـ.

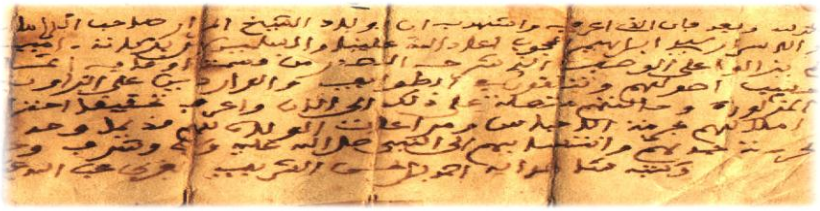

ثم ارتحل إلى طرابلس فأخذ عن مشاهير علمائها فنونا شتى، منها: الحديث، والتفسير، وأصول الفقه، والمنطق، والبلاغة، واللغة، وتضلع فيها حتى صار عالما فقيها فاضلا أديبا شاعرا لغويا. ثمَ تولى الإمامة والتدريس بزاوية يدر، وأسندت إليه مهام الإفتاء بمصراتة في عهد: أحمد باش آغا. ثم نُقل بعد ذلك إلى مدينة الخمس، فعُيِّن مفتيًا بها، ومُدرِّسا بزاوية ابن حجا.

وقد ترجم له الشيخُ العلامة: محمد قريو ترجمة مفصلة، وأثنى عليه كثيرا، لكنه لم يشر إلى مجاورته بهذه الزاوية لأخذ العلم. وللشيخ أحمد عديد المؤلفات العلمية، منها: شرحٌ على

1- ينظر: كتاب: السيد: عمران بن بركة الفيتوري: ترجمته، وتحقيق ما بقي من آثاره، لأحمد محمد جاد الله.

الآجرومية في النحو، وشرحٌ على جوهرة التوحيد، للقاني، وتأليفٌ في البيان والبديع، لكنها أتلفت جميعها أثناء الغزو الإيطالي لمصراتة[1].

ج ـ **الشيخ العلامة: "عبد الله بن اعْمار الأحمدي** الترهوني": **ت: 1334هـ".**

هو الشيخ العالم والفقيه: عبد الله بن عْمار بن إبراهيم بن عبد الله الأحمدي، أصله من مدينة ترهونة، وبها ولد بعيد عام: 1820م، وأمضى أولى سنواته حياته. أما والده فهو ذلك العلم، الذي يشار إليه بـ"العلامة الشيخ"، أحد مشايخ ترهونة وأعلامها وقضاتها الفضلاء، انتقل مع أسرته إلى المنطقة، وأقام بها في حدود سنة: 1826م، حِين عينه الحاكم التركي آنذاك قاضيا شرعيا لمدينة مصراتة.

أخذ الشيخ عبد الله العلم بهذه الزاوية، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم العلم الشرعي بها على يد مشايخها، ومن أشهرهم الشيخ: منصور اسويسي أبي مدين، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ الأسمر، فأتم بها تحصيله العلمي، ثم عاد بعد ذلك إلى زاوية الشيخ المحجوب مفتيا ومدرسا، ومعلما، وموثقا، وكان موسوعة في العلوم الشريعة واللغة، وبخاصة الفقه، ذكر لنا سيدي الشيخ الهادي الطويل، عليه سحائب الرحمة والرضوان أن الشيخ عبد الله اعمار كان يدرس مختصر العلامة خليل في الفقه المالكي، وأنه قد ختم هذا المختصر شرحا وتدريسا ثماني مرات بهذه الزاوية. استمر الشيخ بهذه الزاوية مدة تتابعت لأكثر من خمس وثلاثين سنة، أعطى فيها الكثير، وتتلمذ عليه جمع غفير.

للشيخ عبد الله كتاب في الفقه المالكي، هو حاشية على كتاب مختصر الشيخ خليل، وقد تسلَّمه أحد البحاث ليحققه، لكن المخطوط صودر زمن النظام السابق، وضاع قبل أن يحقق أو يطبع، كما أن له مجموعة فتاوى في بعض النوازل، اشتهر بالتوثيق بين الناس، وله خط واضح وجميل.

في عام: 1900م، اعتلت صحة والده فقرر الشيخ الرجوع لمدينته، حيث توفي والده بعيد رجوعه، ودفن بمسقط رأسه، أما الشيخ عبد الله فانتقل إلى طرابلس، واستقر بمنطقة الظهرة، وبها أسس مسجدا عُرف باسم "مسجد دنُّون"، نسبة إلى عائلة دنون التي تصدقت

1- ينظر: تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراتة القدماء، للشيخ: محمد قريو: 114 – 117، ووثيقة الشيخ: ابن بركة.

بقطعة الأرض المقام عليها المسجد، وظل يقوم بمهامه إلى أن توفي بعدج سنة: 1914م، وآخر وثيقةأُرِّخت له سنة: 1912م.

ثالثا: من علماء زاوية المحجوب المعاصرين:

أ-العلامةالشيخ: "أحمد أبو بكر بن حامد العطوي الفيتوري: ت: 1362هـ".

هو الشيخ العلامة: أحمد ابو بكر عبد السلام بن أحمد بن حامد العطوي الفيتوري، ولد بمدينة زليتن، وبها نشأ وترعرع، التحق بزاوية الشيخ الأسمر، فأخذ أسس العلم وقواعده الأولى بها، وحفظ القرآن الكريم، كماأخذ مبادئ العلوم اللغوية والشرعية بها، ولما اشتد عوده وقوي تأسيسه انتقل إلى زاوية السبعة، وتكريما لسنه، وتشريفا لمكانته منحه ناظرُ الوقف حينها الشيخُ: محمد اغريبي خلوة خاصة به، كانت من أحسن الخلوات بالزاوية، وفي هذه الزاوية درَس كثيرا من العلوم وتضلع فيها على يد أشياخها وعلمائها، ومن أشهرهم الشيخ: محمد اغريبي، وبها أتم تحصيله العلمي وتكوينه المعرفي؛ لينطلق بعدها في أداء رسالته، ونظرا لما تميز به من الذكاء والفهم والحفظ، وقوة التحصيل رأى القائمون على زاوية السبعة تعيينه مدرسا للصغار بالزاوية، ممن أتموا حفظ القرآن أو قاربوه، فأخذ يدرسهم: الآجرومية، والعشماوية، والصفتي، والفلك، والفرائض، وقد اشتهر في الأخيرة كثيرا، واستمر بهذه الزاوية معلما ومفتيا مدة من الزمن.

ولما ذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق، أقبل عليه وكلاء زاوية الشيخ المحجوب، راجين منه القيام بمهام التدريس والفتيا بها، وذلك في ثلاثينيات القرن الماضي، حيث أجاب دعوتهم، وانتقل إليها يؤدي هذه الرسالة الخالدة، فتفرغ لتدريس العلوم الشرعية واللغوية، وكان أكثر دروسه في العقيدة، حيث كان يملي على الطلاب متن أم البراهين للسنوسي، وهو من المتون الصعبة في العقيدة، كما كان يدرس فقه العبادات وأحكام المعاملات، وكانت إقامته بحجرة خاصة بالزاوية، ومن أعز أصدقائه من أهل المحجوب الشيخ الجليل: الهادي الطويل، رحمه الله، فكان محبا له، ومعينا ومصاحبا، أخذ عنه شيئا من العلم، وكان بينهم فيما بعد نقاشات وحوارات في عديد المسائل والقضايا والفتاوى. وكانت طريقة الشيخ في التدريس هي السرد والشرح، فكان أحدالطلبة يقرأ عليه النص، وهو يقوم بشرحه، ومن أشهر طلابه الشيخ: مفتاح عمر بن يعقوب، متعه الله بالصحة والعافية، وشقيقه الشيخ: امحمد رحمه الله، وغيرهم كثير.

ونظرا لانشغال الشيخ بالتدريس والفتيا وحل النزاعات لم يترك خلفه أي تأليف، ولم يعرف عنه أنه صنَّف، لكنه ترك أثرا كبيرا بعده ينتفع به العباد، حيث قام بتحبيس مكتبته الخاصة على زاوية المحجوب، مؤسسا بها مكتبة جديدة، بعد أن أحرق الإيطاليون مكتبتها الأولى سنة: 1923م.

فأُحضرت كتبه من زليتن إلى هذه الزاوية على عربةٍ مجرورة. وقد تعلق به أهل المحجوب وطلابها وتعلق بهم كثيرا؛ ومن ثَمَّ نذر نفسه وأوقف عمره على هذه الزاوية، وأوصى أن يدفن بعد موته بإحدى مقابر المحجوب. بعد مجاورة بهذه الزاوية قاربت ثماني سنوات، وبين جنبات إحدى خلواتها فاضت روح الطاهرة إلى بارئها سنة: 1361هـ،ودفن بمقبرة: (الثلاث)، بزاوية المحجوب، وقبره بها معلوم عند كبار السن، رحمهم الله رحمة، وأسكنه فسيح الجنان(1).

ب- الشيخ الفاضل: الهادي بن عبد الله الطويل المحجوبي:

ولد سنة: 1912م، بزاوية المحجوب، وبها نشأ، درس القرآن على الشيخين: محمد بن اسويسي، والمهدي أبي عبد الله، وأخذ مبادئ العلوم على الشيخين: ابن حامد، والصفراني. ثم انتقل إلى زاوية الفواتير، ومنها إلى طرابلس فأخذ عن أشهر علمائهما، ثم عاد لبلدته، فكُلف عام: 1957م، بالوعظ والإرشاد بهذه الزاوية، ثم مديرا لمدرستها القرآنية؛ ثم تفرغ للوعظ، حتى سنة: 2012م، ويعد من أشهر مشايخها المعاصرين، له عدة مؤلفات، وبعض الفتاوى، من أشهرها:"مناسك الحج والعمرة وآداب زيارة المدينة المنورة": 1976م، مطبوع ومنشور،وكتاب "مسرة الناظرين في حفظ الوقف للدين"، وللأسف أنه ضاع، وقد أعجب العلامة الشيخ: محمد قريو به أثناء تقريظه عليه، ونظم لأجله قصيدة ثناء في الشيخ، ورسالة في: "أقوال الفقهاء في منع تعدد الجمعة في القرى والبلدان الصغار": 1996م، لم تطبع، ورسالة مطبوعة: في "علم الميراث"، تبين أحكام الميراث بطريقة تيسر للناس فهم أحكام المواريث. عُمِّر الشيخ مائةً وسبع سنوات، وتوفي فجر الجمعة: 2019/4/5، ودفن بمقبرة الثلاث بالمحجوب(2).

وغيرُ من ذكرتُ كثيرٌ وكثير من أعلام هذه الزاوية وعلمائها، ومشايخها وفقهائها، وقادة الجهاد والنضال بها، ممن لا يتسع المقام للحديث عنهم، ولا يسمح المجال لسرد أسمائهم، والتعريف بهم، سواء من دَرَسوا بها أو دَرَّسوا، أو جمعوا بين التعلم والتعليم والدراسة والتدريس، رحمهم الله جميعا.

1- تنظر: إفادة الشيخ مفتاح عمر بن يعقوب، بخط كاتبها الشيخ: عبد الرحمن أحمد عثمان، بتاريخ: 2018/11/17م، وإفادة شفوية من الشيخ عمر الكيلاني، نوفمبر: 1997م.

2- أقوال الفقهاء في منع تعدد الجمعة في القرى والبلدان الصغار لجامعها الهادي عبد الله الطويل، دراسة وتحقيق محمد الهادي الطويل، مجلة الجامعة الاسمرية العدد (2) سنة: 2019.

وختاماً، فإن هذه الزاوية كانت جامعة علمية احتضت أفاضل العلماء والفقهاء والأدباء، وكانت مقصد طلاب العلم من كل حدب وصوب، فطبقت شهرتها الآفاق، وسار بخبرها الركبان، وعم صيتها الأرجاء والأنحاء، ويكفيها رفعةً تسميتُها بـ"زاوية الفتح".

هذا، وبالله التوفيق.

المصادر والمراجع:

1. شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي، تقديم وضبط: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: أصالة للنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى: 1999م.

2. المجمع المفنن بالمعجم المعنون، لعبد الباسط الملطي، تحقيق: محمد عبد الله الكندري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى: 2011م.

3. تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار، لكريم الدين البرموني، مكتبة زهران، القاهرة.

4. الأعلام قاموس تراجم، لخير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان، ط/15، 2002/م.

5. معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، دمشق: سوريا، ط/1، 1993/م.

6. تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراتة القدماء، تأليف: محمد مفتاح قريو، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة مصر، ط/1: 1970م.

7. أقوال الفقهاء في منع تعدد الجمعة في القرى والبلدان الصغار لجامعها الهادي عبد الله الطويل، دراسة وتحقيق محمد الهادي الطويل، مجلة الجامعة الاسمرية العدد 2 سنة 2019.

8. زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية، التاريخ والأصالة، إعداد مصباح المغربي، ومحمد المجري، ط/1، 1442ه، 2021م.

9. إفادة من الأستاذ: محمد اعمار الأحمدي، عن الشيخ عبد الله بن اعمار الأحمدي بتاريخ: 2020/1/20م.

10. إفادة من الشيخ مفتاح عمر بن يعقوب، عن الشيخ: أحمد ابن حامد الفيتوري، بخط كاتبها الشيخ: عبد الرحمن أحمد عثمان، بتاريخ: 2018/11/17م.

11. وثيقة الشيخ: محمد بن محمد بن محمد بن بركة الفيتوري، المؤرخة في: 1268هجري.